ولا خوف من ان العز يضعف بضعف الالمان لان ليس لهم فيهِ شأن كبيرون قد يقوى بتقليل ادعيائهِ . واكثر ما ينسب الى الالمان يجب ان ينسب الى الاسرائيليين الذين سكنوا بلادهم ونحن واثقون ان الشعب الاسرائيلي يستمرُّ في خطتهِ ويتابع اشغالهُ العلمية والفلسفية»

مالية المانيا والحرب

الصحيح من سير الحرب الاوربية حتى الآن ان ليس في طاقة احد الفريقين المتحاربين ان يضرب الآخر ضربة قاضية فيصعب ترجيح كفة احدهما على كفة الآخر من الوجهة العسكرية اما من الوجهة المالية فكفة الحلفاء هي الراجحة على ما يظهر واليك مجمل الاحوال المالية في المانيا

لما اعلنت حكومة المانيا الحرب اجاز لها مجلس النواب (الريخستاغ) ان تتلف ٢٥٠ مليون جنيه للقيام بالنفقات الحربية عند الحاجة فلم تتم ان طلبت من الاسواق المالية ١٠٠ مليون جنيه من هذا القرض بل قيل انها طلبت ٢٠٠ مليون جنيه . وسواء طلبت المبلغ الاول او المبلغ الثاني فستضطر الى طلب المزيد في القريب العاجل . وقد اصدرت بنصف المبلغ سندات تكفلت بان توفيها اصلاً وفائدة وجعلت النصف الآخر قرضاً داخلياً تنقد دائني اسهمهم ما يستحق لهم من الفائدة السنوية وعرضت بيع المئة في كلا الحالين بمبلغ ٩٧ ½ وتكفلت بدفع ٥ في المئة فائدة سنوية . فاضطرارها الى دفع هذه الفائدة دليل على ضعف الثقة بها والحرب لم تزل في اول اطوارها . ولا يتوقع ان ينفق كثير من اسهم هذا القرض في الممالك المحايدة ويؤخذ من الاخبار التي تنقل من المانيا ان الالمان انفسهم لم يقبلوا على اشترائها رغماً عن ارتفاع فائدتها وعن حث الجرائد لهم واستنهاضها هممهم لعضد الحكومة فان الانسان معما اشتدَّت حماسةُ الوطنية ومهما اغرى بالفائدة الكبيرة لا يجازف بماله

قابل ذلك بالسهولة التي بيعت بها سندات السلفة التي عقدتها الحكومة الانكليزية للقيام بنفقات الحرب يظهر لك الفرق بين موقف البلادين من جهة المال . فقيمة السلفة الانكليزية ٤٥ مليون جنيه اي اقل كثيراً مما اضطرت المانيا الى استلافهِ وقد بيعت سنداتها في شهر واحد وبقيت الفائدة في الاسواق المالية الانكليزية تتراوح بين ٣ ½ و٣ ¾ في المئة

ولا شك في ان المانيا ستضطر قريباً الى اقتراض كل ما اجاز لها الريخستاغ اقتراضهُ فيزيد دينها مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه ويزيد ما تدفعهُ سنوياً فائدةً لديونها مبلغ ١٢ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . وسنة ١٩١٣ كان الدين الالماني الامبراطوري ٣٣٠ مليون جنيه واذا

اضيفت اليه ديون حكومات الممالك والامارات التي تتألف منها المانيا بلغ المجموع ١٠٠٠ مليون جنيه . وسيصبح بالقرض الجديد ١٢٥ مليوناً . ولم يكن دين الامبراطورية الالمانية سنة ١٨٧٧ سوى ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات وسنة ١٨٧٤ لم يكن عليها دين بل كان في خزينتها ٢٠٠ مليون جنيه وهي الغرامة التي اخذتها من فرنسا ثم أنفق هذا المال كله واخذت الحكومة الامبراطورية تستدين وسيبلغ دينها الآن ٤٨ مليون جنيه واذا اضفنا اليه قروضاً اخرى استقرضتها من غير فائدة بلغ دينها كلهُ ٥٢ مليون جنيه . فاذا كانت مالية المانيا تسير هذا السير في زمن السلم فما قولك بها في زمن الحرب

ان المبلغ الذي رأت الحكومة الالمانية ان تستلفهُ الآن لا ينفع كثيراً من غلتها حتى ولو اضيف اليه المال الاحتياطي الذي كان في قلعة سبندار وما تنوي ان تبتزهُ من المدن التي احتلتها في البلجيك وفي فرنسا . ولا شك في انها تفكر بتعويض خسارتها بغرامة حربية كبيرة بعد انتهاء الحرب ولكن الخطط الحربية مهما دُقق في احكامها تظل عرضة لان يطرأ عليها ما يفسدها . ومن العوامل التي سيكون لها شأن في سير هذه الحرب وترجيح الفوز النهائي لاحد المتحاربين تعاقد الدول المتحالفة على ان لا يكون لاحداهنَّ مطالب لا يوافق عليها سائرهنَّ ومعنى ذلك ان هذه الدول ستثابر جميعها على الحرب ما دام في امكانها الانفاق على جيوشها . فعلى المانيا اذن ان تقهر ثلاث دول غنية قبل ان تتمكن من ابتزاز غرامة حربية من احداهنَّ . فستضطر الى الانفاق بكثرة وتضطر الدول المناهضة لها الى الانفاق ايضاً ولكن اي الفريقين يقوى على مداومة الانفاق أكثر من الآخر . اشار المستر لويد جورج (ناظر المالية ببلاد الانكليز) الى اهمية المال في هذه الحرب فقال « ان الملايين الاخيرة القليلة ستربح هذه الحرب . يقدر اعداؤنا ان ينفقوا الملايين الاولى كما ننفقها نحن واما الملايين الاخيرة فلا يقدرون ان ينفقوها مثلنا » . واذا ذكرتَ ما كان للمال من التأثير في حروب نبوليون وكيف كانت انكلترا تعمل على التغلب عليهِ بتقديم المال للدول الصغيرة المتحاربة عرفتَ ما سيكون لمقدرة الحكومات على اعداد المال من الاهمية في سير هذه الحرب التي تلتهم المال وازجان خصوصاً اذا طال امرها

ان المانيا حديثة العهد بالارتقاء الصناعي والتجاري . نعم لا ينكر عليها ما اظهرتهُ من النشاط والحنكة في هذا الارتقاء ولكنها اذا قوبلت بانكلترا من هذا القبيل كانت كالطفل في جنب الجبار . تستند انكلترا الى ثروة جمعتها في مدى قرون ولكن المانيا لم تقم الاَّ بالامس وللانكليز مصانع كثيرة في جميع انحاء المعمورة تدرُّ عليهم المال ولا تؤثر سير

مالية المؤثرات الموضعية الخارجية كثيرة كالمكسيك والجذب في البرازيل لكثرة مصالحهم وتفرقها في انحاء المعمور اما مالية المانيا فقد اثّر فيها هذان العاملان كثيراً . ثم ان كثيراً من مصالح الالمان خارج بلادهم ليس على ما يرام فلا يدرّ عليهم ربحاً زد على ذلك ان اكثر مافهم انفق على انشاء المعامل والمصانع في المانيا نفسها وهذه المعامل والمصانع لا تعود بفائدة في زمن الحرب ولو كانت تأتي بالربح في زمن السلم . ويظهر لك وهن المانيا المالي من انهُ لما ضاقت الاحوال المالية منذ سنتين في اوربا تعذر على الالمان استعادة المال في بلادهم حتى بالضمانات والرهون . ولكن الاحوال تحسنت بعد ذلك فبلغت النقود التي كان الناس يتعاملون بها في المانيا في الربيع الماضي ٣٠٠ مليون جنيه وقبل اعلان الحرب كان في خزائن بنك المانيا الامبراطوري مبلغ ٦٧ ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه من الذهب بين نقود وسبائك وما قيمتهُ ١٦ ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه من الفضة . وفي مدة الاثني عشر شهراً التي سبقت الحرب اضاف الى ما في خزينتهِ من الذهب ما قيمتهُ ١١ مليون جنيه فزاد ذهبهُ ٢٢ مليون جنيه عما كان منذ عامين

ولا ينكر ان هذه الاحتياطات كانت عوناً كبيراً لالمانيا في بدء الحرب ولكنها لا تؤثر شيئاً في تخفيف وطأة الضيق المالي الذي يتهددها . ان الضيق المالي اليوم اشد وطأة من الضيق المالي الذي حدث زمن الحرب البلقانية ولا بد للمدن الالمانية من ان تشعر بشدة وطأتهِ في القريب العاجل ولو تكلفت التظاهر بسعة الحال الذي تقصد بهِ التمويه على الناس استبقاء لثقتهم . وقد استفاد التجار الالمان من عدم ايفاء ديونهم المستحقة فتركهم ذلك في سعة ولكن هذه السعة وقتية فتأجيل ايفاء الديون ليس مورداً يدر المال . والمبالغ الطائلة الموظفة في المعامل والمصانع في بلاد المانيا لا تعود عليها بفائدة زمن الحرب كما تقدم بل تكون وهقاً في عنقها . ومستعمراتها لا تساعدها كثيراً بل ان بعضها كان دخلهُ اقل من نفقاتهِ فتضطر الحكومة الامبراطورية ان تسد تلك ميزانيتهِ من خزينتها فقد كانت تدفع كل سنة مبلغ ١١٧ ٢٥٠٠٠ جنيهاً لمستعمرة الكمرون ومبلغ ٧٣٧٠٠٠ جنيه لمستعمرة دمارالند . فاكثر ثروة المانيا اذن مما لا تقدر ان تستفيد منهُ في هذه الحرب ولذلك لا بد من ضعف الثقة المالية بها . ومن الحقائق الناصعة ان المال انفل من الجيوش في حروب هذه الايام

وعلى الحكومة الامبراطورية ان تدفع مبالغ باهظة فائدةً لديونها القديمة والحديثة ولا بد لها من المال ايضاً للانفاق على الحرب . فحاجتها الى المال ماسة وتجارتها الخارجية مشلولة ومواد الطعام فيها عزيزة وقد سدّت عليها سبل استيراد المأكولات واصدار المصنوعات وأقفل جانب كبير من مصانعها فاصبح كثير من العمال عاطلين بلا عمل . وليس من شأننا ان

تنظر الآن في نتائج الجوع والبطالة اذا اجتمعا على اهل بلد فتكتفي بالاشارة الى انهُ يؤخذ من بعض المصادر ان الخبز يصنع الآن فيها من دقيق البطاطس لقلة القمح وان نساء همبرغ اعوزهن اللبن لاطعام اطفالهن

ومعظم دخل الحكومة الامبراطورية من المكوس الجمركية وضرائب التبغ والجور البوسطات والتلغرافات وسكك حديد الحكومة ومما تدفعهُ الممالك والامارات والمدن التي تتألف منها المانيا ومن الضريبة على الاملاك . اما الضريبة على الاملاك فقد ضربت حديثاً لتسد منها نفقات الزيادة التي زيدت على الجيش وكان يظن ان ما يجمع منها يبلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فلم يبلغ سوى ٣٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة الماضية ولا شك في انها ستهبط ايضاً الآن بهبوط قيمة الاملاك في المانيا . وكان دخل المانيا للسنة المالية الحاضرة قد قدر بمبلغ ١٧٤٧٨٥٦٨٣ جنيهاً منها ٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه دخل الجمارك والضريبة على الاملاك . وقد هبط هذا الدخل كثيراً وسيهبط ايضاً كما بيّنا وخصوصاً العوائد الجمركية لان المانيا باتت في معزل عن العالم وكاد ينقطع ورود المتاجر اليها وصدورها منها . زد على ذلك ان الزراعة ستتعطل في الولايات الشرقية التي اجتاحتها الجنود الروسية وفي جميع البلاد عموماً لتجنيد القادرين على العمل . فستكون السنة القادمة سنة ضيق مالي على الحكومة والامة . وقد بلغت قيمة الصادرات الالمانية ما عدا الذهب ٤٣٧٠٠٠٠٠٠ جنيه في سنة ١٩١٣ فخرمت اكثر هذا المبلغ هذه السنة . وسيكون العامل الالماني وزوجتهُ واولادهُ اول من يؤثر فيهِ تعطل تجارة البلاد الخارجية

وقد تأثرت التجارة الانكليزية ايضاً بالحرب فهبطت قيمة الواردات في شهر اغسطس ١٣٦٠٣٦٧٠ جنيهاً (اي ٢٤ في المئة) عما كانت في شهر اغسطس من السنة الماضية وهبطت قيمة الصادرات ١٩٨٩٩٤٥٨ جنيهاً (اي ٤٥ في المئة) . والنقص في الصادرات ناشئ بعضهُ عن وقوف دولاب التجارة في الدنيا عموماً اذ اضربت البلدان الاخرى عن طلب البضائع وبعضهُ عن قلة تصدير البضائع الى المانيا والنمسا والبلجيك وفرنسا فقد هبطت صادرات الانكليز الى المانيا من ٢٣٤٩٠٦٧ جنيهاً الى ٧٩٩٠١٧ جنيهاً اي نحو ١٥٠٠٠٠٠ جنيه . اما صادرات المانيا الى البلاد الانكليزية فهبطت من ٨٧٩٤١٨ جنيهاً الى ١٩٥٨٣٥ جنيهاً اي ٦٨٣٥٨٣ جنيهاً فاذا بقي المهبوط في ما تصدرهُ المانيا الى البلاد الانكليزية مطرداً مدة سنة بلغ نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه واذا كان هذا شأن صادراتها الى البلاد الانكليزية وحدها فما قولك بما يحل بصادراتها الى سائر البلدان . اما التجارة بين

البلاد الانكليزية وبين النمسا والمجر فاقل من هذه الاهمية وقد هبطت صادرات النمسا والمجر الى بلاد الانكليز من ٢٩٨٦٧٦ جنيهاً الى ٤٣٣ ٤٥ جنيهاً وهبطت الصادرات الانكليزية الى النمسا والمجر من ٤٨٢ ٦٣ جنيهاً الى ٢٧١ ١٨ جنيهاً

وهذه الارقام لا تدل على قيمة كل التجارة الانكليزية مع المانيا والنمسا والمجر لان جانباً كبيراً من هذه التجارة يمر ببلاد اخرى سيما طريقهِ من بلاد الانكليز الى بلاد الدولتين الاخيرتين او منها اليها ولكن هذه الاحصاءات تظهر جلياً ان تجارة الانكليز تعطلت بقدر ما يصيب المانيا والنمسا والمجر منها اما تجارة المانيا والنمسا والمجر فقد تعطلت كلها تقريباً اذ لا تخرج لهم باخرة في البحر الاَّ تعرضت للاسر . والمانيا تُعدُّ الثانية بين ممالك الارض في التجارة البحرية ومعظم بواخرها التي سلمت من الاسر لاجئة الى موانئ لا يجسر على مبارحتها . ثم لا يفتقر الالمان الى جلب الاطعمة من الخارج بقدر افتقار الانكليز ولكن ما يفتقرون اليهِ قد انقطع عنهم الآن وانقطاعهُ عنهم ينزل بهم الشدة واما الانكليز فلا يعسر عليهم جلب كل ما يحتاجون اليهِ

وكيفما التفتنا الى المانيا من الوجهة المالية رأينا الدلائل كلها تدل على تفوق الحلفاء عليها وعلى انها لا تقوى على مقاومتهم طويلاً . ولا ترجع كفتها الاَّ اذا قهرت الاسطول الانكليزي الذي عطل تجارتها وصناعتها وقلل دخلها وجعلها بمعزل عن العالم فالاسطول الانكليزي هو الذي اوقف التجارة الالمانية وقلل دخل المانيا الامبراطوري وعطل مصانعها وجعل مستقبلها المالي مظلماً

يقدّر العارفون ما تنفقهُ المانيا شهرياً على الحرب بمبلغ يتراوح بين ٥٠ مليون جنيه و ٦٠ مليون جنيه واذا طالت الحرب سنة فسيحرج موقفها المالي قبل اكتوبر التالي

ومما يؤيد ما قلناهُ عن مالية المانيا الخطة التي وضعها الالمان للحرب فانها مبنية على مبدإ الاقتصاد فقد كانوا يتوون ان يتخطوا حدود البلجيك في مدة قصيرة ويستولوا على باريس في موعد مخصوص ثم يرتدوا على روسيا . فخطتهم كانت مبنية على التعجيل في الوقت لتقليل النفقات . ولكن سير الحرب لم يجيء مطابقاً لخطتهم فقد أُجِّل الآن دخول باريس الى اجل غير معلوم وديون المانيا آخذة في الازدياد وستتأثر مالية الممالك الاوربية عموماً من هذه الحرب ولكن مالية المانيا ستتأثر اكثر من غيرها كثيراً كما يستدل من الدلائل ومن عزم الدول المتحالفة على مداومة الحرب . واشباح الجوع والثورة تدنو من المانيا متبعةً تضعضع الاحوال المالية والمعاشية الذي لا بد من ان يحيق بها الاَّ اذا حدث ما لا تدلُّ الدلائل الآن على حدوثهِ